المحقق الهاشمي

مجلة علمية فصلية محكمة
تعنى بالدراسات والبحوث عن حوزة الحلة العلمية
معتمدة لأغراض الترقية العلمية

تصدر عن
مركز العلامة الحلي
لإحياء تراث حوزة الحلة العلمية

السنة السابعة/ المجلد السابع
العدد الثامن عشر ١٤٤٤هـ. ٢٠٢٢م

١٨

منزلة مقام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف في الحلة لدى علماء الشيعة

د. إبراهيم نوئي
noei@sbu.ac.ir
عضو الهيئة العلمية في كلية الإلهيات والأديان
في جامعة الشهيد بهشتي، طهران
الجمهورية الإسلامية الإيرانية
ترجمة: د. رعد الحجاج

الملخص

تعدّ الحلة التي تأسست أواخر القرن الخامس الهجري من المدن المهمة في العراق، وفي هذه المدينة مقام منسوب للإمام صاحب العصر والزّمان عجل الله تعالى فرجه الشريف حظي باهتمام الشيعة عمومًا وكبار العلماء.

ويحاول هذا البحث في مؤلفات كبار علماء الإمامية إثبات أنّهم لم يغالوا بشأن هذا المقام، وكانوا دائمًا يتعاطون معه من موضع التعظيم والاحترام، فلم يسمحوا بوقوع انحراف تجاه المقام المذكور، كما عمدوا إلى إظهار صورة ناصعة له في أذهان الشيعة، بحيث تكون متماشية ومنسجمة مع سائر التعاليم الشيعية الأخرى من جهة وجعله مركزًا للترويج لهذا المقام باعتباره مكانًا لتبليغ المعارف الشيعية من جهة أخرى.

الكلمات المفتاحية:

الحلة، مقام صاحب الزمان، علماء الإمامية، الشيعة.

The Status of Sahib Al-Zaman's Shrine in Hilla For Shiite Scholars

Dr. Ibrahim Noyi

E_noei@sbu.ac.ir

Member of the scientific body at the College of Theology and Religions at Shahid Beheshti University, Tehran,The Islamic Republic of Iran

Abstract

Hilla is one of the important cities in Iraq, which was founded at the end of the fifth century AH. In this city there is a shrine attributed to the Imam Sahib al-Easr and al-Zaman, which received the interest of Shiites in general and great scholars.

This research attempts, in the writings of the great Imami scholars, to prove that they did not exaggerate about this Shrine, and they dealt with it from a position of superiority and respect, they did not allow a deviation towards the shrine, and they also intended to show a brilliant image in the minds of Shiite, so that it is in line with other Shiite teachings and is a center for promoting this shrine as a place for communicating Shiite knowledge.

Keywords:

Hilla, Sahib Al-Zaman's Shrine, Imami scholars, Shiite.

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الإمام صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف هو الإمام الثاني عشر وآخر حجج الله على الأرض، ولد في النصف من شعبان سنة ٢٥٤ أو ٢٥٥ من الهجرة، وغاب عن أنظار عموم الشيعة بما يسمى الغيبة الكبرى سنة ٣٢٩ هـ، وكان الشيعة بانتظار ظهوره على مرّ العصور والأزمان. وقد برزت طوال عصر الغيبة أماكن ومقامات متعددة لعبادة الله والاستغاثة به، كان الشيعة يدعون فيها لظهور إمامهم الغائب، مثلما كانوا يدعون لظهوره ويستنصرونه في أزمنة وأمكنة أخرى أيضًا، وقد تشرف عدد منهم بلقاء الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف أو ظهرت لهم كرامات منه في تلك المقامات.

يقع كثير من تلك المقامات في العراق، البلد الذي شهد وجود عدد كبير من أئمة أهل البيت عليهم السلام في ربوعه على الدوام، ومن تلك المقامات يمكن الإشارة إلى سرداب غيبة الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف في سامراء، ومقام الإمام في مسجد السهلة، ومقبرة وادي السلام، ومقامات في كربلاء والسماوة والبصرة والنعمانية، وأحد هذه المقامات المنسوبة إلى ولي الله الأعظم عجل الله تعالى فرجه الشريف يقع في مدينة الحلة التي اشتهرت بتشيّعها. وقد صرّح الرحالة ابن بطوطة عند سفره إلى هذه المدينة سنة ٧٢٥ من الهجرة قائلًا: «أهل هذه المدينة كلّها إمامية اثنا عشرية»[١]، وعلى أية حال، كان هذا المقام محطّ احترام أهل الحلة وأكابر تلك الديار منذ القدم، وورد ذكره إلى جانب سائر المقامات والمشاهد الخاصة المنسوبة إلى الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف، قال العلامة النوري في هذا الصدد: «وليس خفيًّا أنّ من جملة الأماكن المختصّة المعروفة بمقامه عليه السلام مثل وادي السلام ومسجد السهلة والحلّة وخارج قم وغيرها»[٢].

إنّ الغرض من هذا البحث هو إثبات أنّ كبار علماء الشيعة لم تكن لديهم نظرة غير واقعية أو خرافية تجاه هذا المقام، فعلى الرغم من الاحترام الكبير الذي أبدوه

للمقام المذكور لم يسمحوا ببروز انحراف فكري وسلوكي في هذا المجال، وعدوه مركزًا لعبادة الله تعالى والاستغاثة به، مضافًا إلى ذكر إمام العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف والدعاء لظهوره.

١-عدم بناء المقام في عصر الظهور

إنّ كبار علماء الشيعة لم ينسبوا إحداث هذا المقام إلى الأئمة المعصومين عليهم السلام في عصر الحضور ولم يرووا خبرًا حوله عن أولئك الحجج الإلهيين، ومن الواضح أنّه لو كانت هناك رواية في هذا المجال- ولو بنحو الإشارة- لما أحجموا عن ذكرها والاستدلال بها، مثلما وَرَدَ بشأن مقام إمام العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف في الكوفة، إذْ رُوِيَ أنَّ الإمامَ الصَّادقَ عليه السلام نَزَلَ فيه وتَعَبَّدَ بالصلاة والدعاء:

عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن إبراهيم بن عقبة، عن الحسن الخزاز، عن الوشاء أبي الفرج، عن أبان بن تغلب قال: كنت مع أبي عبد الله عليه السلام فمرّ بظهر الكوفة فنزل فصلّى ركعتين، ثم تقدّم فصلّى ركعتين، ثم سار قليلًا فنزل فصلّى ركعتين، ثم قال: «**هذا موضع قبر أمير المؤمنين** عليه السلام». قلت: جعلت فداك والموضعين اللذين صلّيت فيهما؟ قال: «**موضع رأس الحسين** عليه السلام **وموضع منزل القائم** عليه السلام»[٣].

من جهة أخرى، كان أول من عمّر مدينة الحلة ونزل بها سيف الدولة صدقة ابن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد (حكم ٤٧٩- ٥١٠هـ)، رابع أمراء بني مزيد، سنة ٤٩٥ هـ[٤]، وهذا يعني أنّ مقام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف بُني بعد الغيبة الصغرى.

٢-عدم إخبار المعصومين عن تأسيس مقام في الحلّة

ليس لدينا خبر من باب التنبؤ بهذا المقام (خلافًا للأخبار الناظرة إلى المقام الموجود في مسجد السهلة)، وإن كانت هناك رواية منسوبة إلى أمير المؤمنين عليه السلام

بشـأنِ تأسيس مدينة الحلة وفضيلة ساكنيها، إذْ رُوِيَ أَنَّهُ عليه السلام لَمَّا خَرَجَ إلى صفين مرَّ على موضعٍ أخبر أنّه ستبنى فيه مدينة الحلة:

... قال: أخبرني أبي عن أبيه، عن محمد بن قولويه، عن الشيخ أبي جعفر محمد ابـن يعقـوب الكليني، عن عـلي بن إبراهيم، عـن أبيه، عن ابـن أبي عمير، عن أبي حمـزة الثمالي، عـن الأصبغ بن نباتة قال: صحبت مولاي أمـير المؤمنين عند وروده إلى صفين وقد وقف على تلّ يقال له: تلّ عرير، ثم أومأ إلى أجمة ما بين بابل والتلّ، وقـال: مدينـة وأيّ مدينة؟ فقلت: يـا مولاي! أراك تذكر مدينـة، أكان ههنا مدينة فامتحت آثارها؟ فقال: «**لا، ولكن سـتكون مدينة يقال لها: الحلة السـيفية، يحدثها رجل من بني أسد، يظهر بها قوم أخيار، لو أقسم أحدهم على الله لأبرّ قسمه**».(٥)

وعـلى الرغـم مـن ذلـك لم يَـدَّعِ علـماءُ الشـيعة وجـود أخبـار عـن الأئمـة المعصومين عليهم السلام تؤكـد أَنَّ إمـامَ العـصر والزمـان عجل الله تعالى فرجه الشريف سـتكون له حكومـة في هذا المقـام، عـلى غرار ما روي حول مقام الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف في مسـجد السـهلة، حيث روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال لما ذُكر عنده هذا المسجد: «**أما إنّه منزل صاحبنا إذا قـام بأهله**».(٦) وروى أبو بصير عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أيضًا قال: قال لي: «**يا أبا محمد! كأنّي أرى نزول القائم عليه السلام في مسجد السهلة بأهله وعياله**»(٧).

وكذلك ما روي عن أبان بن تغلب حول مقام الإمام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف في وادي السـلام: « كنـت مع أبي عبد الله عليه السلام فمرّ بظهـر الكوفة فنزل فصلى ركعتين، ثم تقدم فصلى ركعتين، ثم سار قليلًا فنزل فصلى ركعتين، ثم قال: «**هذا موضع قبر أمـير المؤمنـين** عليه السلام». قلت: جُعلتُ فداكَ، والموضعـين اللذين صليت فيهما؟ قال: «**موضع رأس الحسين** عليه السلام **وموضع منزل القائم** عليه السلام»(٨).

ومـن الواضح أنّه لو وجـد خبر حول مقام صاحب العـصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف في الحلـة- حتى ولو على نحو التكهن والتنبؤ- لما أحجم علماء الشـيعة عن ذكره على مرّ العصور وتعاقب الأزمان.

٣-زمن تأسيس مدينة الحلة ومقام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف

تقدم أنّ مدينة الحلة أُسِّسَتْ سنة ٤٩٥ هـ على يد رابع أمراء بني مزيد، سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد (حكم من ٤٧٩- ٥١٠ هـ)، فلما كان يطمح إلى الاستقلال من الخلافة العباسية استغلّ الصراع الدائر بين العباسيين وملوك السلاجقة، ونقلَ إليها أهله وعساكره من منازلهم في الدور من النيل ، (وهو من روافد الفرات شقّه الحجاج بن يوسف الثقفي)، واستقرُّوا في منطقة الجامعين ، وهو موضع مهجور في غربي الفرات، وبنى فيها المساكن الجليلة والدور الفاخرة[٩]، ومن ثم تحولت إلى مدينة الحلة الحالية.

في سنة ٥٠١ من الهجرة قدم أبو دلف سرخاب بن كيخسرو الديلمي، حاكم ساوة وآبة، إلى سيف الدولة صدقة بن منصور مستجيرًا به من السلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه (حكم من ٤٩٨- ٥١١ هـ) بعدما سخط عليه، فأجاره ورفض تسليمه إلى وكلاء السلطان، فاستشاط السلطان غضبًا على سيف الدولة الذي كان يلقِّب نفسه «ملك العرب»، وأرسل له جيشًا جرارًا ودارت بينهما معركة شرسة، قُتل على أثرها سيف الدولة وأُسر ولده دبيس.[١٠]

وبقطع النظر عن هذه الأخبار حول زمن تأسيس مدينة الحلة، لم يذكر علماء الشيعة تاريخًا دقيقًا لوجود مقام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف . نعم، ثمة قرائن تثبت وجود بيوت لإقامة طلاب العلوم الدينية إلى جوار هذا المقام قبل سنة ٦٣٦ هـ، وكانت تلك البيوت بحاجة إلى ترميم، قام به السيد نجيب الدين محمد بن جعفر بن هبة الله بن نما الحلي، وهو أحد علماء الشيعة المشهورين آنذاك، أعطاه أبوه إجازة في رواية كتاب الصحيفة السجادية سنة ٥٥٦ هـ[١١] ، وعلى هذا الأساس، يمكن القول إنّ عمره في تلك الحقبة ليس بأقلّ من عشرين سنة، ما يعني أنّه ولد زهاء سنة ٥٣٥ هـ.

كان ابن نما من مشايخ سديد الدين يوسف بن المطهر (المتوفى ٦٢٧هـ) ـ والد العلامة الحلي ـ والمحقق الحلي (المتوفى ٦٧٦هـ)، وكذلك كان شيخًا لأشخاص آخرين مثل السيد رضي الدين علي بن موسى بن طاوس (المتوفى ٦٦٥هـ) وأخيه أحمد (المتوفى ٦٧٣هـ)، كما أنّ الشيخ نجيب الدين يحيى بن سعيد (٦٠١-٦٩٠هـ) وولديه جعفر وأحمد، رووا عن ابن نما بعض الروايات، كذلك هناك إجازات نقلها عنه شمس الدين محمد بن أحمد بن صالح القسّيني، كان آخرها سنة ٦٣٧ هـ[١٢].

في أواخر شهر صفر من سنة ٦٧٧ من الهجرة، استنسخ أحد تلامذة نجيب الدين يحيى بن أحمد بن يحيى بن سعيد الحلي (٦٠١- ٦٩٠هـ) واسمه أبو عبد الله حسين بن أردشير بن محمد الطبري الآبدارآبادي نسخة من كتاب «نهج البلاغة» في مقام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف في مدينة الحلة. ويستفاد من هذه الحادثة أنّ المقام المذكور كان إلى حدّ ما معروفًا ومشهورًا ومحطّ احترام علماء الشيعة في ذلك التاريخ، الأمر الذي دعا هذا العالم الشيعي إلى استنساخ هذا الكتاب الشريف في ذلك المقام.[١٣]

٤-عدم صدور ردّ من علماء الشيعة حول هذا المقام

عُرف عن علماء الشيعة طوال التاريخ أنّهم كانوا يتخذون موقفًا صارمًا تجاه أيّ بدعة أو انحراف في الدين، ويكفي لإثبات ذلك إلقاء نظرة على الردود المختلفة والمتعددة الصادرة عن كبار العلماء ضد الغلاة والصوفية، حيث يتضح من ذلك موقف فقهاء الإمامية من عدم بروز الانحرافات في مسار العقائد الشيعية، ويتبين أنّهم لا يتوانون عن اتخاذ الموقف الحازم فورًا؛ بغية تحديد مسار الشيعة الاثني عشرية وفصله عن الآخرين. ومن هنا، يمكن أن ندرك بأنّ علماء الإمامية ـ ولا سيما علماء الحلة ـ لو كانوا معارضين لأصل وجود مقام منسوب إلى الإمام

الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف وللأعمال والمناسك التي تقام فيه، ويرون أنّها مخالفة للتعاليم الشيعية، لاتخذوا موقفًا مضادًا وتحركوا لمنع وقوع انحراف في الأوساط الشيعية بأسرع ما يمكن بلا ريب، والحال أنّه لا توجد أيّة مؤشرات على صدور ما يخالف وجود هذا المقام المنسوب إلى الإمام صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف في مدينة الحلة، ولم يصلنا أيّ دليل على مخالفة علماء الشيعة لتكريم هذا المقام الشامخ.

٥-ظهور كرامات لإمام العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف في هذا المقام ورأي العلماء فيها

كان مقام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف في مدينة الحلة موضعًا لظهور كرامات وعنايات إلهية عديدة من الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف للشيعة في أزمنة مختلفة، ولم يخالف علماء الشيعة الحكايات والقصص المنقولة في هذا المجال، بل بادروا إلى نقلها في مصادرهم أيضًا:

٥-١-الحكاية الأولى: قبل سنة ٧٥٠ هجرية

حكى العالم الشيعي الشهير عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم بن العتائقي (تلميذ العلامة الحلي) الذي وصف بأنّه: «المولى الأجلّ الأوحد، العالم الفاضل، القدوة الكامل، المحقّق المدقّق، جامع الفضائل ومرجع الأفاضل، افتخار العلماء في العالمين، كمال الملّة والدنيا والدين»،[١٤] الحكاية التالية حول مشاهدة الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف وكرامته في المقام المنسوب إليه في الحلة بصورة شفاهية في مواضع عدّة، كما أنّه كتبه بخطّه وأعطاه لبعض العلماء الآخرين، وهي:

إنّي كنت أسمع في الحلّة السيفية حماها الله بأنّ المولى الكبير المعظّم جمال الدين ابن الشيخ الأجلّ الأوحد الفقيه القاري نجم الدين جعفر بن الزهدري، كان فلج، فعالجته جدّته لأبيه بعد موت أبيه بكلّ علاج للفالج فلم يبرأ. فأشير عليها بأطبّاء بغداد، فأحضرتهم له، فعالجوه زمانًا طويلًا فلم يبرأ، فقيل لها: ألا أبتّيه تحت القبّة الشريفة بالحلّة المعروفة بمقام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، لعلّ الله يعافيه ويبرئه، ففعلت

وأباتته تحتها، وإنّ صاحب الزمان عليه السلام أقامه وأزال عنه الفالج. ثمّ بعد ذلك حصل بيني وبينه أخوّة حتّى كنّا لم نكد نفترق، وكان له دار العشرة يجتمع فيها وجوه أهل الحلّة وشبابهم وأولاد الأماثل منهم، فاستحكوه عن هذه الحكاية، فقال:

إنّي كنت مفلوجًا وعجز الأطبّاء عنّي- وحكى لي ما كنت أسمعه مستفاضًا في الحلّة من قضيّته- وأنّ الحجّة صاحب الزمان عليه السلام قال لي وقد أنامتني جدّتي تحت القبّة: قم، فقلت: إنّي لا أقدر على القيام منذ سنين، فقال لي: قم بإذن الله، وأعانني على القيام، فقمت وزال عنّي الفالج، وانطبق الناس عليّ حتّى كادوا يقتلوني، وأخذوا ما كان عليّ من الثياب تقطيعًا وتنتيفًا يتبرّكون بذلك، وكساني الناس من ثيابهم، ورحت إلى البيت وليس فيّ أثر الفالج، وبعثت إلى الناس ثيابهم.

عليهما السلام وكنت أسمعه يحكي ذلك للناس ولم يستحكه أحد مرارًا شتّى، ثمّ توفي رحمه الله سنة خمس وخمسين وسبعمائة في الجارف.[١٥]

وفقًا لهذه الحكاية ينبغي القول:

١- إنّ الشخص الذي نال كرامة الإمام صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف في المقام المذكور هو نجم الدين جعفر بن الزهدري، وهو من كبار علماء الشيعة آنذاك؛ ولذا وصف بـ« المولى الكبير المعظّم جمال الدين ابن الشيخ الأجلّ الأوحد الفقيه القاري» (المتوفى سنة ٧٥٥ هـ)، وعليه فهذه الكرامة ليست من قبيل الكرامات المنسوبة إلى أشخاص مجهولين أو من عوامّ الناس.

٢- إنّ وجاهة شخصية نجم الدين بن الزهدري وثقة الناس به، لا سيما العلماء منهم، دفعت وجهاء مدينة الحلة كابن العتائقي (وكذلك شباب المدينة) إلى الاجتماع لديه وسماع القصة منه بدون واسطة (يجتمع فيها وجوه أهل الحلة... فاستحكوه). والطريف أنّه بشهادة ابن العتائقي لم يناقش أحد من وجوه أهل الحلة قول الزهدري بشأن هذه الكرامة، ولم يعترضوا على تفاصيلها. وبحسب ما ورد

في ختام هذه الحكاية (يحكي ذلك للناس ولم يستحكه أحد) ينبغي القول: إنّها ليست من قبيل الكرامات التي لم يعرها العلماء اهتمامًا يُذكر أو يمرّوا عليها مرور الكرام، كما أنّها ليست من القصص الجارية على ألسنة العوام التي يضاف لها كلّ يوم تفاصيل وتشعبات إضافية.

٣- كان مقام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف عند وقوع هذه الكرامة من المقامات المعروفة التي تحظى باحترام كبير، كما جرى التصريح بذلك في الحكاية؛ لأنّه كانت له قبة شريفة من جهة، ومن جهة أخرى كان من المتعارف عليه في ذلك الزمان اللجوء إلى مثل هذه المقامات بعد اليأس من العلاج على أيدي الأطباء؛ لذا لم يستغرب ابن الزهدري لما طُلب منه المبيت في ذلك المقام والتوسل بصاحبه إلى الله.

٤- كان هذا المقام مما يؤمّه الناس طلبًا لقضاء الحوائج من الله تعالى، وهذا يعني أنّ الشيعة لم يكن لديهم تصور غير صحيح، وفيه غلوّ عن هذا المقام وشأن الإمام المعصوم، والشاهد على هذا الأمر العبارة التي وردت في الحكاية: «ألا أبتّيه تحت القبّة الشريفة بالحلّة المعروفة بمقام صاحب الزمان عليه السلام، لعلّ الله يعافيه ويبرئه».

٥- إنّ كرامة شفاء نجم الدين بن الزهدري على يدي الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف حصلت في اليقظة والمشاهدة، ولم تكن رؤية الإمام في المنام، على أنّ الزهدري لم يدّع تكرار اللقاء بالإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف ومشاهدته بعد هذه الواقعة مطلقًا؛ وبهذا فإنّ الحكاية المذكورة لا تعدّ من مصاديق «من ادّعى المشاهدة فهو كذّاب».

٦- في هذه الحكاية أكد كلّ من نجم الدين بن الزهدري وابن العتائقي على أنّ كرامة الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف في شفاء الأول تمّت بإذن الله تعالى (قم بإذن الله)، وهذا هو التفسير الصحيح لدور الإمام المعصوم في عالم التكوين، الذي ذهب إليه كبار علماء الشيعة.

وعلى هذا الأساس، فالصورة الحاصلة من هذه الحكاية عن مقام صاحب

الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف والكرامة المذكورة ليست صورة متعارضة مع سائر التعاليم العقائدية الشيعية المتعارفة.

٥-٢-الحكاية الثانية: أوائل القرن الثامن الهجري

نقل جماعة من كبار علماء التشيع في القرن الثامن الهجري حكاية أخرى وقعت لعالم شيعي اسمه سيد بهاء الدين علي بن عبد الكريم النيلي (كان حيًّا حتى سنة ٨٠٣هـ) سنسردها أدناه، واللافت أنّ هؤلاء العلماء مُدحوا بوصفهم «جماعة من الأعيان الأماثل وأهل التصديق والأفاضل»، وكان بينهم عالم محقق هو شمس الدين محمد بن قارون، والحكاية هي:

كان الحاكم بالحلّة شخصًا يدعى مرجان الصغير، رُفع إليه أنّ أبا راجح هذا يسبّ الصحابة، فأحضره وأمر به فضُرب ضربًا شديدًا مهلكًا على جميع بدنه، حتّى أنّه ضُرب على وجهه فسقطت ثناياه، وأُخرج لسانه فجُعل فيه مسلّة من الحديد، وخرق أنفه ووضع فيه شركة من الشعر، وشدّ فيها حبلًا، وسلّمه إلى جماعة من أصحابه وأمرهم أن يدوروا به في أزقّة الحلّة، والضرب يأخذ من جميع جوانبه حتّى سقط إلى الأرض وعاين الهلاك.

فأخبر الحاكم بذلك فأمر بقتله، فقال الحاضرون: إنّه شيخ كبير وقد حصل له ما يكفيه، وهو ميّت لما به، فاتركه فهو يموت حتف أنفه، ولا تتقلّد دمه، وبالغوا في ذلك حتّى أمر بتخليته، وقد انتفخ وجهه وورم لسانه، فنعاه أهله بالموت، ولم يشكّ أحد أنّه يموت من ليلته.

فلمّا كان من الغداة دخل عليه الناس، فإذا هو قائم يصلّي على أتمّ ما كان في حال صحّته، وقد عادت ثناياه التي سقطت كما كانت، وجراحاته قد اندملت، ولم يبق لها أثر، والشجّة قد زالت من وجهه، فعجبوا من حاله وسألوه عن أمره، فقال: إنّي لمّا عاينت الموت ولم يبقَ لي لسان أسأل الله تعالى به، كنت أسأله بقلبي واستغثت

إلى مولاي وسيّدي محمّد بن الحسن القائم عليه السلام، فلمّا جنّ عليّ الليل فإذا بالدار قد امتلأت نورًا، وإذا مولاي قد أمرّ يده الشريفة على وجهي وقال لي: اخرج وكدّ على عيالك فقد عافاك الله؛ فأصبحت كما ترون.

ثم إنّ شمس الدين محمد بن قارون- أحد رواة هذه الحكاية- كان قد رأى أبا راجح الحمامي قبل هذه الكرامة وبعدها، فوصف تأثير كرامة الإمام الحجة عجل الله فرجه الشريف على جسم أبي راجح قائلًا: «أقسم بالله أنّ هذا أبو راجح، كان ضعيف التركيب، أصفر اللون، شين الوجه، مقرطم اللحية، وكنت دائمًا أدخل الحمّام الذي هو فيه وأراه على هذه الحالة وهذا الشكل، فلمّا أصبح كنت ممّن دخل عليه، فرأيته وقد اشتدّت قوّته وانتصبت قامته وطالت لحيته واحمرّ وجهه، وعاد كأنّه ابن عشرين سنة، ولم يزل على ذلك حتّى أدركته الوفاة».

ولمّا شاع هذا الخبر وذاع طلبه الحاكم وأحضر عنده، وقد كان رآه بالأمس على تلك الحالة والآن على ضدّها، كما وصفناه، ولم ير بجراحاته أثرًا، وثناياه قد عادت، فداخله في ذلك رعب عظيم، وكان يجلس في مقام الإمام القائم عليه السلام في الحلّة ويعطي ظهره القبّة الشريفة، فصار بعد ذلك يجلس ويستقبلها، وعاد يلطف بأهل الحلّة، ويحسن إلى محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم، ولم ينفعه ذلك، بل لم يلبث في ذلك إلّا قليلًا حتّى مات، وكان ذلك في سنته.[١٦]

ولنا على هذه الحكاية تعليقات:

-على الرغم من شهرة هذا الخبر على نطاق واسع وفقًا لما ورد في الحكاية أعلاه: «اشتهر وذاع، حتّى ملأ الأسماع، وسبق هذا بالعيان، لكثير من أبناء الزمان»، لم يكتفِ العالم الإمامي الكبير السيد بهاء الدين النيلي (المتوفى سنة ٨٠٣هـ) بهذه الشهرة، فحكى الخبر عن غير واحد من العلماء المعتمدين في عصره، ويمكن تلمس كثرة رواة هذا الخبر وصدقهم بنقله عن «جماعة من الأعيان الأماثل وأهل

التصديق والأفاضل». ومن الجلي أنّه لا يمكن التصرف بمثل هذا النحو من الأخبار أو جعلها.

-يقف على رأس رواة هذا الخبر شمس الدين محمد بن قارون، وهو أحد كبار العلماء والشخصيات الشيعية المعتمدة، بحيث وصفه السيد بهاء الدين النيلي بعبارة: «من الأعيان الأماثل، وأهل التصديق الأفاضل... الشيخ المحترم الحاج القاري المجوّد، الزاهد العابد، العالم المحقّق، شمس الدين محمّد بن قارون». وبمقتضى هذه الأوصاف لهذه الشخصية، لو كانت هذه الحكاية فاقدة للاعتبار لا يمكن أن يقوم بنقلها أبدًا.

-إنّ أبا راجح الذي حصلت له هذه الكرامة كان شخصية محترمة وله مريدون من أهل الحلة من الشيعة وأهل السنة على حدّ سواء، والشاهد على ذلك التعبير عنه من قبل المخالفين بـ «الشيخ الكبير»، ما يوحي بمنزلته الكبيرة بين أهالي الحلة.

-طبقًا لما ذكره أبو راجح، حدثت هذه الكرامة في بيته ولم تُنسب إلى مقام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، ومن الواضح أنّه لو كان أبو راجح أو من روى عنه كشمس الدين محمد بن قارون يريدون إضفاء هالة من القدسية والاعتبار لهذا المقام لكان بوسعهم نسبة هذه الكرامة إلى المقام المذكور، لكنّهم لم يفعلوا.

-بعدما صدّق حاكم الحلة السنّي (مرجان الصغير) بهذه الكرامة، أخذ بالتردد على مقام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف؛ خوفًا من أن يقوم إمام العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف بالقضاء على حكومته وإنهاء حكمه أو التسبب بموته، وإن ذُكر في الحكاية أنّه مات في تلك السنة نفسها.

-يبدو أنّ هذه الحكاية وقعت في أوائل القرن الثامن الهجري، وفي تلك الحقبة كان مقام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف في مدينة الحلة مشهورًا ومعروفًا حتى بين أهل السنة وحكامهم أيضًا، فكانوا يلجؤون إليه ويستجيرون به، وثمّة قرينتان دالّتان

على وقوع هذه الحكاية في أوائل القرن الثامن الهجري هما:

أ-كان بهاء الدين النيلي حيًا حتى سنة ٨٠٣ من الهجرة وتوفي في هذه السنة أو بعدها بقليل، وبما أنّه لم يلتقِ بأبي راجح؛ لذا يمكن القول باحتمال وقوع هذه الكرامة في أوائل القرن الهجري الثامن، وقد نقلها له مشايخه ومنهم شمس الدين محمد بن قارون.

ب-يستفاد من هذه الحكاية بأنّ حاكم الحلة (مرجان الصغير) كان شخصًا سنّي المذهب، والحال أنّ الشيخ حسن بزرگ الجلايري الذي كانت له ميول شيعية احتلّ مدينة الحلة سنة ٧٣٩ هجرية،[١٧] ثم بقيت الحلة تحت حكم الجلايرة حتى هجوم تيمورلنك على بغداد سنة ٧٩٥ من الهجرة.

٥-٣-الحكاية الثالثة: سنة ٧٤٤ الهجرة

نقل شمس الدين محمد بن قارون الذي وصف بأنّه «الشيخ المحترم الحاج القارئ المجوّد، الزاهد العابد، العالم المحقّق» الحكاية التالية إلى أحد علماء الشيعة المعروفين، وهو السيد بهاء الدين علي بن عبد الكريم النيلي (كان حيًا سنة ٨٠٣هـ):

كان رجل من أصحاب السلاطين يسمّى المعمّر بن شمس المعروف بمذوّر، فضمن القرية المعروفة بـ«برس»، وقف للعلويّين، وكان له نائب يقال له: ابن الخطيب، وغلام يتولّى نفقاته يدعى: عثمان، وكان ابن الخطيب من أهل الصلاح والإيمان بالضدّ من عثمان، وكانا دائمًا يتجادلان.

فاتفق أنّهما حضرا في مقام إبراهيم الخليل عليه السلام بمحضر جماعة من الرعيّة والقوّام، فقال ابن الخطيب لعثمان: يا عثمان! الآن اتّضح الحقّ واستبان، أنا أكتب على يدي من أتولّاه، وهم عليّ والحسن والحسين عليهم السلام، واكتب أنت من تتولّاه، وهم أبو بكر وعمر وعثمان، ثمّ تشدّ يدي ويدك بسير، وتوقد نار شديدة، وتدخل يدي ويدك، فمن أحرقت يده بالنار كان على الباطل، ومن سلمت يده كان على الحقّ، فنكل عثمان وأبى أن يفعل، فأخذ الحاضرون بالعياط عليه.

هـذا وكانـت أمّ عثمان مشرفة عليهم تسـمع حديثهم، فلـمّا رأت ذلك لعنتهم وشـتمتهم وتهدّدتهم وبالغت في ذلك، فعميت في الحال، فلمّا أحسّـت بذلك نادت إلى رفقائها فصعدن إليها، فإذا هي صحيحة العينين لكن لا ترى بها شيئًا، فقادوها وأنزلوهـا ومضـوا بهـا إلى الحلّة، وشـاع خبرهـا بين أصحابهـا وأقاربهـا وأترابها، فأحضروا لها الأطبّاء من بغداد والحلّة فلم يقدروا لها على شيء.

فقالـت لها نسـوة مؤمنات كـنّ أخدانها: إنّ الـذي أعماك هـو القائم عليه السلام، فإن تشـيّعت وتولّيـت وتبرّأت ضمنّا لـك العافية على الله تعالى، وبـدون هذا لا يمكن الخلاص؛ فأذعنت لذلك ورضيت به.

فلـمّا كانـت ليلة الجمعة جئن بهـا حتّى أدخلـت القبّة الشريفـة في مقام الإمام صاحب الزمان عليه السلام وبتن بأجمعهنّ في باب القبّة.

فلـمّا كان هزيـع من الليل وإذا هـي قد خرجت عليهنّ وقـد ذهب العمى عن بصرهـا، وهي تعدّهنّ واحدة بعد واحـدة وتصف ثيابهنّ وحليهنّ، فسررن بذلك وحمدن الله على حسن العافية وقلن لها: كيف كان ذلك؟

فقالـت: إنّكنّ لما جعلتنـني في القبّة وخرجتنّ عنّي أحسسـت بيد قد وضعت عـلى وجهـي، وقائل يقـول لي: أخرجي فقـد عافاك الله، فانكشـف العمـى عنّي، ورأيـت القبّة قد امتلأت نورًا، ورأيت رجلًا فقلت له: من أنت يا سـيّدي؟ فقال: محمّد بن الحسن، ثمّ غاب عنّي.

فقمن وخرجن إلى بيوتهنّ، وتشـيّع ولدها عثمان، وحسن اعتقاده واعتقاد أمّه المذكـورة، واشـتهرت القصّة بين أولئك الأقوام ومن سـمع هـذا الكلام، واعتقد وجـود الإمـام القائم عليه السلام، وكان ذلك في سـنة أربع وأربعين وسـبعمائة، وصلّى الله على محمّد وآله وسلّم.[١٨]

وسوف نعلق على هذه الحكاية بعدد من النقاط أيضًا:

-الرواي لهذا الخبر هو شمس الدين محمد بن قارون، وهو من العلماء والشخصيات الشيعية المعروفة والموثوقة، وقد ذكرنا سابقًا عن السيد بهاء الدين النيلي (كان حيًا حتى سنة ٨٠٣هـ) قوله في وصفه: «من الأعيان الأماثل، وأهل التصديق الأفاضل... الشيخ المحترم الحاج القاري المجوّد، الزاهد العابد، العالم المحقّق، شمس الدين محمّد بن قارون».[١٩] وبمقتضى هذه الأوصاف لهذه الشخصية، لو كانت هذه الحكاية فاقدة للاعتبار لا يمكن أن يقوم بنقلها أبدًا.

-إنّ النزاع الذي أدى إلى فقدان أم عثمان لبصرها لم يقع في مدينة الحلة، لكنّ شفاءها حصل في هذه المدينة وفي مقام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف تحديدًا.

-من الواضح أنّ شهرة مقام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف وصل من مدينة الحلة إلى المنطقة التي وقع فيها النزاع إلى درجة أنّ نساء تلك المنطقة كنّ على علم به.

-في زمن وقوع النزاع المذكور (سنة ٧٤٤هـ) حتى النساء الساكنات في تلك المنطقة كنّ يعلمن بأنّ ليلة الجمعة خاصة بزيارة مقام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف في الحلة؛ وعليه فقد كانت الزيارة والتوسل بالإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف في ليالي الجمعة من الآداب المعروفة لهذا المقام.

-لم تشتهر قصة إصابة أم عثمان بالعمى في مدينة الحلة فقط، وإنّما في المنطقة التي وقع فيها النزاع أيضًا.

٦-تشرف علماء الإمامية في الحلة بزيارة الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف بكثرة

تميزت مدينة الحلة في القرنين السابع والثامن من الهجرة بتشرف كثير من العلماء المتقين بزيارة الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف، وإن دلّ هذا على شيء فإنّما يدلّ على أنّ الشيعة في تلك البقعة كانوا يفكرون بالإمام دائمًا ويستمدون العون منه، وأنّ هناك عناية خاصة من الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف تجاههم أيضًا. وفي هذه الحالة من الواضح أنّه

لو شاهد العلماء الذين سنشير إلى حكاياتهم مع إمام العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف بعض حالات الانحراف، أو أنّ بعض الأفراد بصدد استغلال لطف الإمام بالناس لما ادخروا وسعًا في الردّ عليهم وإبداء مخالفتهم لهم، لا سيما مع وجود شخصيات مرموقة بين هؤلاء العلماء مثل السيد ابن طاوس والعلامة الحلي.

-من بين علماء التشيع المذكورين، يمكن الإشارة إلى السيد ابن طاوس (المتوفى سنة ٦٦٤هـ)، حيث «يستظهر من بعض تآليفه أنّ باب ملاقاة الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف كان مفتوحًا عليه»[٢٠]. ففي ليلة الأربعاء الموافق للثالث عشر من ذي القعدة سنة ٦٣٨ من الهجرة، كان في سامراء وسمع في وقت السحر دعاءً من إمام العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف: «كنت أنا بسرّ من رأى، فسمعت سحرًا دعاءه عليه السلام فحفظت منه عليه السلام من الدعاء لمن ذكره من الأحياء والأموات، وأبقهم أو قال: وأحيهم في عزّنا ملكنا وسلطاننا ودولتنا، وكان ذلك في ليلة الأربعاء ثالث عشر ذي القعدة سنة ثمان وثلاثين وستمائة»[٢١].

-العلامة الحليّ، هو العالم الشيعي الآخر من مدينة الحلة الذي تشرف برؤية الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف، فورد في هذا المجال: «ومن جملة مراتبه العالية ودرجاته النائية الذي امتاز بها جناب الشيخ [العلامة الحلي] أنّه اشتهر على ألسنة أهل الإيمان أنّ أحد علماء السنة- وكان الشيخ قد حضر عنده جانبًا من جوانب العلم- كتب كتابًا في ردّ مذهب الشيعة الإمامية، وكان يقرأه في المجالس على الناس ويضلّ به العوام، وكان لا يأمن عليه أحدًا مخافة أن يقع بأيدي الشيعة فيردّ عليه علماؤهم. وكان الشيخ يجتهد كلّ الاجتهاد ويستعمل الوسائل الخاصة به ليصل إلى الكتاب أو يصل إليه الكتاب ليردّ عليه، فلم يتيسر له ذلك حتى جاءه ذات يوم بدالّة التتلمذ عليه وطلب منه إعارته إياه، فلم يرد ذلك الشخص أن يواجه طلبه بالردّ لأول وهلة؛ لذلك قال له: إنّي أقسمت قسمًا بارًّا أن لا أتركه أكثر من ليلة واحدة

عنـد أحد، فاغتنمها الشـيخ وأخـذ الكتاب منه وذهب بـه إلى البيت، وعمد إلى النقـل منـه قدر الإمـكان في الليل. ولما أعجزتـه الكتابة ومضى هزيـع من الليل غلـب عليـه النوم فأغفى سـاعة، فظهر له الإمـام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف فقال للشـيخ: دع الكتـاب عندي ونم أنـت هنيئًا، فلما أفاق وجد كتابة النسـخة تلك قد تمّ ببركة صاحـب الزمـان عليه السلام». (٢٢).

٧-احترام علماء التشيع لهذا المقام

لطالمـا كان علـماء الشـيعة في الحلة يبـدون احترامًا كبـيرًا لهذا المقام الشـامخ، والشـاهد على ذلك قيامهم بأمور تكشف عن المنزلة العظيمة لهذا المقام في قلوبهم، ومن بين هذه الأمور يمكن الإشارة إلى:

٧-١-بناء مدرسة علمية إلى جانب هذا المقام

مهـد كبار علماء الإمامية في الحلة إلى الاهتمام بمقام الإمام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف مـن خلال تأسـيس وترميم مدرسـة علمية بجوار المقـام المذكور، فلـما كانت هموم هؤلاء العلماء منصبّة على النهوض بالثقافة الشيعية وتنمية التحقيق والبحث العلمي في المذهب الشيعي، فقد ارتأوا بناء مدرسة علمية هناك؛ من أجل إعداد فقهاء وعلماء متميزين والدعوة إلى نشر العقائد الشيعية من هذا المكان المقدس.

وفي هذا السياق، كتب السيد حسين الصدر نسخة حول تأسيس هذه المدرسة بجوار المقام المذكور قائلًا:

«رأيـت بخطّ الشـيخ الفقيه الفاضل علي بن فضل الله بـن هيكل الحلّي، تلميذ أبي العبـاس بن فهد الحلّي، ما صورته: حوادث سـنة سـتّ وثلاثين وسـتمائة، فيها عمّـر الشـيخ الفقيـه العالم نجيـب الدين محمـد بن جعفر بـن هبة الله بـن نما الحلّي بيوت الدرس إلى جانب المشـهد المنسـوب إلى صاحب الزمان عليه السلام بالحلّة السيفيّة، وأسكنها جماعة من الفقهاء». (٢٣)

وفقًا لهذه العبارة، لم تشيّد المدرسة المذكورة من قبل نجيب الدين محمد بن جعفر ابن محمد المشهور بابن نما سنة ٦٣٦ من الهجرة، بل قام بتعمير المدرسة الموجودة بجوار المقام الشريف، وبنى فيها بيوتًا لسكن جماعة من الفقهاء، ويعد نجيب الدين من ألمع تلاميذ أبيه جعفر بن نما الحلي وابن إدريس الحلي، ومن ثم عمد لإعداد علماء بارزين وشخصيات شهيرة في العلوم والثقافة الإسلامية في تلك المدرسة، منهم المحقق الحلي (٦٠٢- ٦٧٦هـ)، وسديد الدين يوسف بن المطهر الحلي (المتوفى في القرن السابع الهجري)، وعلي بن طاوس (المتوفى سنة ٦٦٤هـ)، ومحمد بن محمد ابن علي بن أبي طالب العلقمي المشهور بابن العلقمي (٥٩١- ٦٥٦هـ)، ويحيى بن سعيد الحلي (٦٠١- ٦٩٠هـ)، وابنه جعفر الحلي.[٢٤] ومن الواضح أنّ ازدهار هذه المدرسة وحضور هؤلاء الأعلام من الإمامية فيها أغلق الباب بوجه انتشار الخرافات والانحرافات في مجال الإيمان بإمام العصر والزمان عجل الله فرجه الشريف، وحال دون تبديل مقام صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف إلى مكان لمناهضة عقائد الشيعة الإمامية.

٧-٢-التدريس في مقام صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف

بموازاة تطوير المدرسة المجاورة لمقام صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف، عكف العلماء الأعلام على تدريس العقائد الشيعية والتبليغ لها بجوار هذا المقام الشريف؛ وعلى هذا الأساس ذكرت كتب التراجم أنّ أحد هؤلاء المدرسين هو ابن فهد الحلي (٧٥٢- ٨٤١هـ) الذي كان من أهل العلم والخير والصلاح والبذل والجود وصاحب مؤلفات معروفة نحو «عدّة الداعي ونجاح الساعي».[٢٥]

٧-٣-تأليف بعض الكتب في هذا المقام

من المؤشرات الدالة على المكانة الرفيعة والاحترام الكبير لمقام صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف في مدينة الحلة هو أنّ عددًا من علماء التشيع ألّفوا بعض رسائلهم في جوار هذا المقام تيمنًا وتبركًا به. ومن جملة تلك المؤلفات التي أُلّفت بجوار هذا

المقام، يمكن الإشارة إلى كتاب «الدرّة النضيدة» لمؤلفه الشيخ عزّ الملة والدين أبو محمد حسن بن ناصر الدين إبراهيم الحدّاد العاملي، وهو شرح لكتاب «الأبحاث المفيدة في تحصيل العقيدة»:

«ابتدأت في تصنيفه ثامن عشر من شعبان، وفرغت في رابع عشر من رمضان، فكان مجموع المدة ستة وعشرين يومًا، وذلك في الحلة مجاورة مقام صاحب الزمان على ساكنه أفضل الصلاة والسلام».

العالم الآخر الذي ألّف كتابه في المدرسة المجاورة لمقام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف في القرن التاسع الهجري هو الشيخ خضر بن محمد بن علي الرازي الحبلرودي، وقد حمل كتابه عنوان «التوضيح الأنور بالحجج الواردة لدفع شبه الأعور»، حيث قال في هذا المجال:

«أمّا بعد: فيقول العبد المفتقر إلى الله الغنيّ، المتمسّك بالكتاب المبين، والعترة الطاهرين بعد النبيّ صلى الله عليه وآله خضر بن محمّد بن علي الرازي الحبلرودي الملازم لخزانة المشهد الشريف الغرويّ، غفر الله له ولوالديه ولسائر المؤمنين، ووفّقه للخير وأعانه عليه، بالنبيّ وآله الطاهرين:

إنّي لمّا عزمت على زيارة الأربعين في سنة ثمانمائة من الهجرة مع تسع وثلاثين، ووصلت إلى المدرسة الزينبيّة والصلحاء، أراني أعزّ الإخوان عليّ، وأتمّهم في المودّة والإخلاص لديّ، وهو المستغني عن إطناب الألقاب بفضله المتين، محمّد بن محمّد بن نفيع عضد الملّة والدين، أدام الله إشراق شمس وجوده، وأغناه وإيّانا عمّا سواه بجوده، رسالة مشحونة بأنواع الشبه والردّ على طريقة الأبرار، مرقومة بالأساطير والأباطيل ككتاب الفجّار، لواسطيّ أعور أعمى القلب، ينكر فضائل آل الرسول».[٢٦]

٧-٤-استنساخ النُّسخ في هذا المقام

من الأعمال التي قام بها علماء الشيعة وتعكس احترامهم لهذا المقام، إصرارهم على استنساخ المؤلفات الشيعية المهمة في المقام المذكور:

١-استنساخ «نهج البلاغة» الشريف يوم السبت المصادف لأواخر شهر صفر سنة ٦٧٧ من الهجرة على يد حسين بن أردشير الطبري الآبدارآبادي، وهو أحد تلامذة نجيب الدين يحيى بن أحمد بن يحيى بن سعيد الحلي (المتوفى سنة ٦٩٠هـ). وقد ورد في الإجازة التي أعطاها نجيب الدين يحيى لتلميذه المشار إليه وصفه بـ «السيد الأجلّ الأوحد الفقيه العالم الفاضل المرتضى نجم الدين أبو عبد الله الحسين بن اردشير بن محمد الطبري»[٢٧]، وطبقًا للتاريخ المذكور هنا يمكن القول: إنّ مقام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف كان مبنيًّا قبل سنة ٦٧٧ من الهجرة. ولا ريب في أنّ استنساخ كتاب «نهج البلاغة» الشريف من قبل هذا العالم في مثل هذا المقام دليل على احترامه وتبجيله له.

٢-استنساخ «تحرير الأحكام الشرعية على مذهب الإمامية» في الثاني من جمادى الأولى سنة ٧١٩ من الهجرة ويوم الثلاثاء الموافق للسادس من رجب سنة ٧٢٣ من الهجرة في مقام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف. كاتب هذه النسخة هو وشّاح بن محمد، وقد علّق العلامة الحلي على ذلك في الصفحة الأخيرة من القاعدة الأولى من هذا الكتاب في نسخته الحالية بتاريخ ٢٦ من جمادى الآخرة سنة ٧٢٤ من الهجرة.[٢٨].

كما أنّ هناك نسخة من رسالة «كنز الفوائد في حلّ مشكلات القواعد وترددات» لعبد المطلب بن محمد الأعرجي الحلي (٦٨١- ٧٤٥هـ) في «شرح قواعد الأحكام في معرفة الحلال والحرام» للعلامة الحلي (٦٤٨- ٧٢٦هـ)، وعلى الرغم من عدم معرفة كاتب هذه النسخة لكنّ المجلد الأول منها كُتب في المدرسة الفخرية في الحلة بخط الثلث (يحتوي على ٢٨٦ ورقة في كلّ ورقة منها ٣١ سطرًا) وذلك

سنة ٧٥٦هـ. وسُجلت على هذه النسخة ملكية عزّ الدين حسين الأسترآبادي في ٨ جمادى الآخرة سنة ٧٦٦ هـ في مدرسة صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف في مدينة الحلة، ما يكشف عن انتعاش ونشاط المدرسة المنسوبة لإمام العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف في جوار المقام المذكور في الحلة[٢٩].

٨-شمول إطلاق الأماكن المقدسة لهذا المقام

يعد مقام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف وبسبب انتسابه إلى إمام العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف من المقامات التي يمكن أن تعدّ من مصاديق البيوت التي: ﴿أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ﴾.[٣٠] ومن هذا المنطلق، قال بعض فقهاء الإمامية بشأن فضيلة العبادة في هذه الأماكن: «جاء في بعض الأخبار أنّ الله عزّ وجلّ يحبّ أن يُعبد في الأماكن التي هي أمثال هذه الأماكن... وهي من الألطاف العينية [الغيبية] الإلهية للعباد الضالّين والمضطرّين والمرضى والمستدينين والمظلومين والخائفين والمحتاجين ونظائرهم من أصحاب الهموم وموزّعي القلوب ومشتّتي الظاهر ومختلّي الحواس؛ فإنّهم يلجؤون إلى هناك ويتضرّعون ويتوسّلون إلى الله عزّ وجلّ بصاحب ذلك المقام، ويطلبون علاج أوجاعهم وشفاءَهم، ودفع شرّ الأشرار، وكثيرًا ما يُجابون فيعود الذي ذهب إلى هنا مريضًا مشافىً مشافيًا، ويذهب المظلوم فيرجع بظلامته، ويذهب المضطرب فيرجع هادئ البال. وبالطبع فكلّما يسعى أن يكون هناك أكثر أدبًا واحترامًا فسوف يرى خيرًا أكثر»[٣١].

كما أنّ فقهاء آخرين من الإمامية شددوا على استحباب زيارة إمام العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف في كلّ مكان وزمان[٣٢]، لكنّ شيعة الحلة كانوا يجتمعون في هذا المقام أيام الثلاثاء لاستذكار الإمام والدعاء بتعجيل ظهوره وفرجه، وحتى لو لم يكن هذا التوقيت مستندًا إلى خبر عن الأئمة المعصومين عليهم السلام فإنّه لا ينافي عموم فضل زيارة الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف في جميع الأوقات، مع أنّنا نستبعد أن يكون هذا التوقيت اعتباطيًا، بل

ربما يكون عائدًا إلى أقوال بعض علماء الحلة، ممن اشتهروا بلقاء الإمام والتوسل به، منهم السيد ابن طاوس الذي قال: «إذا أردت أن تمضي إلى السهلة فاجعل ذلك بين المغرب والعشاء الآخرة من ليلة الأربعاء، وهو أفضل من غيره»[٣٣]، وكما هو واضح فإنّ هذه العبارة دالة على فضيلة زيارة مسجد السهلة في جميع الأوقات وأنّ ليلة الأربعاء هي الأفضل.

٩-اتهامات أهل السنة الباطلة لهذا المقام

ادّعى ابن بطوطة في كتابه «الرحلة» أنّه لما سافر إلى مدينة الحلة شاهد من الشيعة فيها تصرفات غريبة تجاه مقام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف تكشف عن ضلالهم، فقال: «بمقربة من السوق الأعظم بهذه المدينة مسجد على بابه ستر حرير مسدول، وهم يسمّونه مشهد صاحب الزمان، ومن عاداتهم أن يخرج في كلّ ليلة مائة رجل من أهل المدينة وبأيديهم سيوف مشهورة، فيأتون أمير المدينة بعد صلاة العصر يأخذون منه فرسًا مسرجًا ملجمًا أو بغلة، كذلك ويضربون الطبول والأنقار والبوقات أمام تلك الدابة ويتقدمها خمسون منهم ويتبعها مثلهم، ويمشي آخرون عن يمينها وشمالها، ويأتون مشهد صاحب الزمان فيقفون بالباب ويقولون: باسم الله يا صاحب الزمان، باسم الله اخرج، قد ظهر الفساد وكثر الظلم، وهذا أوان خروجك، فيفرّق الله بك بين الحقّ والباطل. ولا يزالون كذلك وهم يضربون الأبواق والأطبال والأنقار إلى صلاة المغرب وهم يقولون: إنّ محمد بن الحسن العسكري دخل ذلك المسجد وغاب فيه، وأنّه سيخرج وهو الإمام المنتظر عندهم»[٣٤].

وفيما يتعلق بهذه النسبة الباطلة التي ألصقها ابن بطوطة (٧٠٣- ٧٧٩هـ) بشيعة الحلة وتصرفاتهم أيام الثلاثاء في مقام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، ينبغي القول: إنّ ما ذكره لا يعضده أيّ شاهد في المصادر الشيعية، بل حتى في مصادر أهل السنة

أيضًا، فلم يرد مثل هذا الكلام حول هذا المقام وهذه المدينة، بل ولا حول أيّ مقام آخر ومدينة أخرى كذلك. فمن الواضح أنّ علماء الحلة الأعلام لم يسمحوا أبدًا للشيعة بممارسة مثل هذه الانحرافات في ذلك المكان، كما أنّ ما حكي عنهم من بناء مدرسة علمية بجانب المقام المذكور أو تأليف بعض الكتب واستنساخها إلى جواره لا يساعد على نشر انحرافات من هذا القبيل. ولا يبعد أنّ ما شاهده ابن بطوطة من ازدهار للحوزة العلمية في الحلة (خصوصًا في المدرسة المجاورة لهذا المقام) وكثرة منابر التدريس في المدينة المذكورة أغاضه، فعمد إلى نقل صورة مغايرة للحقيقة إلى أذهان المسلمين في سائر البلدان الإسلامية، ويمكن التماس الشاهد على ذلك من العبارات الأخرى لابن بطوطة التي يستفاد منها عدم مروره بمدينة الحلة وغيرها من المدن الشيعية الأخرى، حيث ذكر إنّه امتنع عن دخول قرية «برملاحة» (موضع دفن النبي ذي الكفل عليه السلام بمقربة من مدينة الحلة) من جهة أنّ سكانها من الروافض. وبمقتضى هذا الكلام، يستبعد أن تكون أقدام ابن بطوطة قد وطئت مدينة الحلة.

١٠-الاستنتاجات

إنّ مقام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف في مدينة الحلة من المقامات المقدسة التي تستلهم قدسيتها من أساس رصين، فطالما كان علماء الإمامية ينطلقون في تعاملهم مع هذا المقام من رؤية واقعية ويتحدثون عنه من موضع الاحترام، وقد منعوا الترويج للخرافات والانحرافات في هذا المشهد القدسي، فمن جهة لم يتمسكوا بوجود خبر من الأئمة المعصومين (عليهم السلام) حول هذا المقام، ومن جهة ثانية لم يذكروا أنّه بُني بأمر منهم. وعلى هذا الأساس، حدثت في هذا المقام كرامات كانت بمثابة وسام شرف بلغت حدّ التواتر أو التظافر أحيانًا، حكاها كثير من علماء الشيعة القاطنين في مدينة الحلة ممن عُرفوا بالتقوى والورع بصورة مباشرة ومن دون

واسطة. وفي هذا السياق، كان علماء الشيعة في الحلة يبدون احترامًا كبيرًا لهذا المقام الشامخ، والشاهد على ذلك قيامهم بأمور تكشف عن المنزلة العظيمة لهذا المقام في قلوبهم، ومن بين هذه الأمور يمكن الإشارة إلى بناء مدرسة علمية وتدريس علوم آل محمد صلى الله عليه وآله وتأليف كتب وتدوين رسائل علمية واستنساخ التراث الشيعي بجوار هذا المقام. مضافًا إلى أنّ الأخبار الدالّة على لزوم احترام كلّ موضع يُعبد فيه الله تعالى شاملة لهذا المقام بعمومها وإطلاقها، ولا ريب في أنّ المقام المشار إليه كان على الدوام موضعًا لذكر الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف والدعاء لظهوره المبارك.

الهوامش

(١) الرحلة ٢/ ٥٦.
(٢) النجم الثاقب ٢/ ١٣٨.
(٣) الكافي ٤/ ٥٧٢.
(٤) معجم البلدان ٢/ ٢٩٤.
(٥) بحار الأنوار ١٠٤/ ١٧٩.
(٦) الكافي ٣/ ٤٩٥.
(٧) المزار الكبير: ١٣٤.
(٨) الكافي ٤/ ٥٧٢؛ كامل الزيارات: ٣١. هذا وقد طُبّق موضع محل منبر القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف على مقامه في وادي السلام على مرّ التاريخ، كما اعتبر الموضع الذي صلى فيه الإمام الصادق عليه السلام الركعتين مقامًا له.
(٩) انظر: معجم البلدان ٢/ ٢٩٤.
(١٠) انظر: الكامل في التاريخ ١٠/ ٤١٩ و ٤٤٠؛ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ١٧/ ٧٦ و ١١١ و ٣٠٣.
(١١) انظر: الأنوار الساطعة في المئة السابعة: ١٥٤.
(١٢) انظر: المصدر نفسه.
(١٣) وردت الإشارة إلى إجازة شيخه يحيى بن أحمد في هذه النسخة.
(١٤) السلطان المفرّج عن أهل الإيمان فيمن رأى صاحب الزمان: ٤٤.
(١٥) المصدر السابق: ٤٤- ٤٦.
(١٦) المصدر نفسه: ٣٧- ٤٠.
(١٧) انظر: تاريخ الحلة ١/ ٩٣.
(١٨) السلطان المفرج عن أهل الإيمان فيمن رأى صاحب الزمان: ٤١- ٤٤. على أنّ الكرامات المنقولة عن مقام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف غير مقتصرة على ما ذكرنا، بل يمكن ملاحظة أمثلة أخرى من هذه الكرامات حسبما نقل آية الله السيد علي أكبر الخوئي (والد المرجع الشيعي المعروف السيد أبي القاسم الخوئي) في كتابه الشريف: العبقري الحسان في أحوال مولانا صاحب الزمان عليه السلام ج ٢، ص ٧٧- ٧٨.
(١٩) المصدر نفسه ٣٧.
(٢٠) ريحانة الأدب ٨/ ٧٧.
(٢١) مهج الدعوات ومنهج العبادات ٢٩٦.
(٢٢) مجالس المؤمنين ١/ ٥٧٣.
(٢٣) تكملة أمل الآمل ٤/ ٤٢٥.
(٢٤) فرحة الغري: ٤٨.
(٢٥) روضات الجنات ١/ ٧٢؛ هدية العارفين ١/ ١٢٥.
(٢٦) التوضيح الأنور بالحجج الواردة لدفع شُبه الأعور: ١٤.
(٢٧) رياض العلماء ٢/ ٣٦؛ طبقات أعلام الشيعة ٣/ ١٨٤.
(٢٨) انظر: ميراث اسلامي ايران/ التراث الإسلامي لإيران ٣/ ٥٢٢.

(٢٩) انظر: فنخا (الفهرس الموحد للمخطوطات الإيرانية) ٢٦/ ٨١.

(٣٠) سورة النور، الآية ٣٦.

(٣١) النجم الثاقب ٢/ ١٣٩.

(٣٢) انظر: بحار الأنوار ٩٩/ ١١٩.

(٣٣) بحار الأنوار ٩٧/ ٤٤٥ (نقلًا عن: مصباح الزائر لابن طاوس).

(٣٤) رحلة ابن بطوطة ٢/ ٥٦.

المصادرُ والمراجعُ

القرآن الكريم.

١. الأنوار الساطعة في المئة السابعة: آقا بزرك الطهراني، جامعة طهران ، طهران، ١٣٧٢ش/ ١٩٩٣م.

٢. بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي، دار إحياء التراث، بيروت ، ١٤٠٣هـ.

٣. تاريخ الحلة: يوسف كركوش، مكتبة محمد كاظم الحاج محمد صادق الكتبي ، النجف الأشرف، ١٣٨٥هـ.

٤. تكملة أمل الآمل: السيد حسن الصدر، تحقيق عدنان الدباغ، دار المؤرخ العربي، بيروت.

٥. التوضيح الأنور بالحجج الواردة لدفع شُبه الأعور: خضر الحبلرودي ، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قُم ، ١٤٢٤هـ.

٦. الرحلة: ابن بطوطة، أكاديمية المملكة المغربية ، الرباط، ١٤١٧هـ.

٧. روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات: محمد باقر الخوانساري، منشورات إسماعيليان ، قُم، ١٣٩٠ش/ ٢٠١١م.

٨. رياض العلماء وحياض الفضلاء: عبد الله بن عيسى أفندي، طهران، مطبعة الخيام.

٩. ريحانة الأدب: المدرس التبريزي، مكتبة خيام، ط ٣ ، طهران، ١٣٦٩ش/ ١٩٩٠م.

١٠. السلطان المفرّج عن أهل الإيمان فيمن رأى صاحب الزمان: السيد بهاء الدين علي بن عبد الكريم النيلي، دار نشر دليل ما، قُم ، ١٤٢٦هـ.

١١. طبقات أعلام الشيعة: آقا بزرك الطهراني، منشورات إسماعيليان ، قُم.

١٢. فرحة الغريّ: عبد الكريم بن أحمد، ابن طاوس، دار الرضي، قُم.

١٣. فنخا (الفهرس الموحد للمخطوطات الإيرانية): مصطفى درايتي، منشورات المكتبة الوطنية، ١٣٩٢ش/ ٢٠١٣م.

١٤. الكافي: محمد بن يعقوب الكليني، المطبعة الإسلامية، طهران ، ١٤٠٧هـ.

١٥. الكامل في التاريخ: ابن الأثير، بيروت، دار صادر، ١٣٨٥هـ.

١٦. مجالس المؤمنين: نور الله بن شريف الدين الشوشتري، المنشورات الإسلامية، طهران، ١٣٧٧ش/ ١٩٩٨م.

١٧. المزار الكبير: محمد بن جعفر ابن المشهدي، تحقيق جواد القيومي، جماعة المدرسين، قُم، ١٤١٩هـ.

١٨. معجم البلدان: ياقوت الحموي ، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.

١٩. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ.

٢٠. مهج الدعوات ومنهج العبادات: علي ابن موسى ابن طاوس، دار الذخائر، قُم، ١٤١١هـ.

٢١. ميراث اسلامي ايران/ التراث الإسلامي لإيران: رسول جعفريان، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قُم، ١٣٧٣-١٣٧٨ش/ ١٩٩٤-١٩٩٩م.

٢٢. النجم الثاقب: حسين النوري الطبرسي، منشورات العتبة العباسية المقدسة ، كربلاء المقدسة ،١٤٣٠هـ.

٢٣. هدية العارفين: إسماعيل البغدادي ، دار إحياء التراث العربيّ ، بيروت.